صور من علاقة السلطة الحاكمة بالحركة الصوفية في دمشق خلال العصر المملوكي (٦٤٨هـ-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠م-١٥١٧م)

د. محمد عثمان الخطيب

أستاذ مساعد / قسم التاريخ / كلية العلوم الإنسانية / جامعة النجاح الوطنية

د. عامر أحمد القبج

أستاذ مشارك/ قسم التاريخ / كلية العلوم الإنسانية / جامعة النجاح الوطنية

د. لؤي محمد أبو السعود

أستاذ مشارك / قسم السياحة والآثار / كلية العلوم الإنسانية / جامعة النجاح الوطنية

The Images of the Relationship of the Mamluk Ruling Authority with the Sufis Movement in Damascus during the Mamluk Era (1250 AD-1517 AD/ 648 H-922 H)

الملخص

تَهدفُ هذه الدّراسة إلى الكشفِ عن طبيعة العلاقة التي رَبطت الحركة الصوفيّة بالسلطة الحاكمة في مدينة دمشق خلال العصر المملوكي، وذلك ببيان اهتمام الأمراء والولاة وأصحاب السلطة من المماليك بإقامة الزوايا والخانقاوات والأربطة الصوفية والإنفاق عليها ، ودعم أنشطة الصوفية الدينية منها والاجتماعية فقد شارك رجالات منهم في حضور حلقات الذكر وملازمتها مما أدى إلى ازدهار الحركة في المجتمع الدمشقي سواء أكان ذلك في أوقات الشدة أو الرخاء . وتمثل الاهتمام الرسمي للدولة المملوكية بالمتصوفين من خلال العلاقة الإيجابية التي نشأت بين الطرفين والتي حدت بالدولة إلى تولية بعض المناصب الرسمية الدينية والإدارية لرجالات من الصوفية، إضافة إلى الدور المهم الذي لعبه بعض شيوخ المتصوفة في الوساطة لدى السلطة الحاكمة بشأن إقرار بعض المطالب أو إلغاء بعض الإجراءات كالضرائب أو التدخل لإطلاق المساجين كما حصل مع ابن تيمية،. وتكشف الدراسة في المقابل، عن موقف المسؤولين بالسلطة المملوكية من بعض ممارسات المتصوفين الشاذة أو وغلو أفكارهم، إذ وقفوا موقفاً حازماً من بعض ممارسات المتصوفة، و لم يتوانوا عن إيقاع أشدّ العقوبات بحقهم وصلت في بعض الأحيان الإعدام.

Abstract

This study aims at exploring the nature of the relationship of the Sufi movement with the ruling authority in Damascus during the Mamluk era. This is achieved by highlighting the interest of princes, rules and Mamluk rulers in building worshipping center, Sufis Zawyas and Sufis spiritual sanctuary and taking care of them. Also, the majority of the Sufi's participate in quaranic lectures; this has led to the prosperity of the movement the Damaskeen society in times of hardships and prosperity. The official interest of the Mamluk state in Sufis movement is through the positive relationships between them leading to appoint the Sufis leaders high stature positions. Besides, there is an important role for the Sufis in mediating between the Mamluk state and the Sufis concerning the recognition of their demands including taxes changes and interfering in the release of prisoners such as the case of Ibn Taimia. In return, this study reveals that stand of the officials in the Mamluk authority from some Sufis extreme practices which is penalizing whoever practice them by death.

الكلمات المفتاحية: الحركة الصوفية، المماليك، الزوايا ، الخانقاوات، الأربطة، الأوقاف ، دمشق.

مصطلحات الدراسة:

الخانقاوات: مفردها خانقاه، كلمة فارسية معناها في الأصل المائدة كما تعني محلًا للتعبد والتزهد والبعد عن الناس. (دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،ص٦٦)

الزوايا: مفردها زاوية، وهي ركن البيت وكانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير، أو على المصلى. (بروفنسال، ليفي، دائرة المعارف الإسلامية–الزاوية– ، ص٣٣١-٣٣٤)

الأربطة: مفردها رباط، والرباط من المرابطة أي ملازمة ثغر العدو ثم تحولت من مفهومها العسكري المرتبط بالجهاد إلى ما تعنيه كلمة الزاوية والخانقاه بالنسبة لأصحاب الطرق الصوفية. (ابن منظور ، لسان العرب، ج٧، ص٣٠٢-٣٠٣)

الأسمطة: مفردها سماط وهو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة لجلوس الآكلين،(دهمان، معجم الألفاظ التاريخية،ص٩٢.)

كافل دمشق: من الألقاب التي يختص بها نائب السلطنة في الممالك الشامية (دهمان، معجم الألقاب،ص١٢٨)

ناظر الوقف: هو بمثابة المدير العام للمؤسسة بحيث يتولى إدارة شؤونها العامة ويؤجر العقارات الموقوفة عليها ويشتري لوازمها ويصرف الرواتب للموظفين وله نائب يقوم مقامه أذا غاب، (العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، ص٢٢، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١،٢٤٨،العلبي، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين،ص٣٢١)

شاد الأوقاف: وظيفة مهمة صاحبها التفتيش على أوقاف المسلمين ورعايتها، (القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤،ص١٩٣)

قارئ المصحف: هو من يتولى قراءة القرآن وتجويده وقد غلب على اختصاصه العلم بالقراءات على مشايخ القرّاء (القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥،ص٤٣٦)

بواب التربة: وظيفته ملازمة الباب لصيانتها وحفظ ما بها من متاع ومنع غير المرغوب بهم من أرباب التهم والفساد وأصحاب الحرف الدنيئة من دخولها (السبكي، معيد النعم، ص١٤٤)

جابي الوقف: وظيفته جباية الأموال ومستحقات الوقف واستخلاصها، (عناقرة، المدارس في مصر في عصر دولة المماليك،ص٦٠)



الحوائج كاش: كلمة من أصول تركية (كاش) بمعنى متسلم و (الحوائج)بمعنى اللوازم، وبذلك تعني مشتري مستلزمات الخانقاه (الحجي، السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ،ص٤٢٢)

الخاصكية: نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من مماليك الأجلاب للقيام بالواجبات الخطيرة (دهمان، معجم الألفاظ التاريخية،ص٦٦)

الغرارة: وعاء من الخيش يعبئ به القمح أو الشعير ونحوه استعمل في العصر المملوكي كنوع من المكاييل ويعادل وزنه ٨٠ مداً (الخطيب، معجم المصطلحات التاريخية،ص٣٣٠)

الخزندار: لقب أطلق على الذي يتحدث في خزنة السلطان (دهمان، معجم الألقاب،ص٦٨)

الطريقة الحريرية: تنسب للشيخ علي الحريري أبو احمد بن أبي الحسن علي بن منصور الدمشقي، كان يعمل بضعة الحرير ثم تصوّف فعرف أتباعه بالحريرية.(ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٥٦؛ النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٥٤، الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص٦).

المدار: هو الموضع الدائري المخصص لدوران الماء فيه، (ابن منظور، لسان العرب،ج٤، (ص٢٩٧)

الدرهم: وحدة نقدية تزن ٣.٥ غراما من الذهب (دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٧٤)

الرطل الدمشقي: وحدة وزن يساوي ١٢ أوقية (القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤،ص١٨٧)

الطيالس: ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف ويحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة ، وهو من ألبسة العلماء في العصر الإسلامي وكان على الأغلب يتخذ من القماش الأخضر. العمري، التعريف،ص١٧٠(القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١،ص١٩٧)

تمهيد

نَشطت الحركة الصوفيّة في مدينة دمشق في العصر المملوكي، وظهرت الطرق الصوفية بمختلف اتجاهاتها الدينية والاجتماعية، حتى أصبحت من أهم الظواهر الاجتماعية في مدينة دمشق وقد ترتب على ذلك انتشار مؤسسات خاصة للصوفية كالخانقاوات(١) والزوايا(٢) والأربطة(٣)، وحوت هذه المؤسسات والأمكنة بين ثناياها جماعات من الناس امتهنوا الذكر وقراءة القرآن ، وكانوا بشكل عام نماذج جيدة للأتقياء والعبّاد، ولكن تلك الأمكنة ما لبثت أن أصبحت أحيانًا ملجأ وملاذًا لتلك الفئات التي تبحث عن الراحة، حيث كانوا يجدون فيها ضالتهم من طعام ولباس وشراب دون عناء يذكر(٤).زادت أعداد المتصوفين في هذه المؤسسات بازدياد حجم الأوقاف المحبوسة عليها، بفضل تسابق السلاطين والأمراء والأغنياء في تقديم الأموال والعطايا بهدف الأجر والثواب ، فسهّلت حياة المُنتفعين منها وذاق هؤلاء فيها رغد العيش وكفو منها معوزة الفقر، ومع مرور الوقت أصبحت هذه التكايا تشكّل بؤرا لانتشار ظاهرة البدع والخرافات(٥).ومع مرور الوقت مثّل متصوفة دمشق قوة روحية في المجتمع المملوكي وذلك من خلال تأثيرهم على المستويين الرسمي والشعبي ، وقد نجح أصحاب السلطة من المماليك في نسج علاقة متينة بينهم وبين شيوخ الصوفية كانت تقوم على ارتباط المصالح بين الطرفين فالحكام كانوا يبحثون عن الهدوء والاستقرار في جو من الروحانية وحشد الولاء الشعبي من عامة الشعب من خلال التأثير الذي كان يمارسه رجال الدين على الناس،أما المتصوّفة فينشدون نشر أفكارهم والاستفادة المادية من السلطة المملوكية، لذلك كان شيوخ الصوفية ذراعا لهم يحثون الناس على التصدي لأي عدوان سواء كان عدواناً خارجياً، أو في حشد الجهود لمواجهة الفتن والاضطرابات الداخلية.تفاوتت أعداد هذه المؤسسات في مدينة دمشق خلال حقب العصر المملوكي الأول والثاني، وذكر ابن شداد(٦) أنه وجد في دمشق ١٩ خانقاه، و١٩ رباطا و٥ زوايا، بينما ذكر النعيمي(٧) أن فيها ٢٩ خانقاه، و٢١ رباطاً، و٢٦ زاوية، في حين يشير الأربلي(٨) أن عددها ٢٥ خانقاه، و٢٠ رباطاً، أما عبد الباسط العلموي(٩) فقد ذكرها ٢٧ خانقاه، و٢١ رباطاً، و٢٧ زاوية.وكدليل على الاهتمام الرسمي بهذه المؤسسات كان افتتاحها في العادة يتم في حفل مهيب بحضور السلطان والأعيان إذ تمد فيها الأسمطة (١٠)وتعقد فيها مجالس السماع(١١)وإذا ما بحثنا في الأسباب التي حدت بعامة الناس للانتظام في سلك الصوفية في هذه الفترة فنجدها تمثلت في الهجمة التتارية (١٢)المدمّرة على العالم الإسلامي، خاصة بعد سقوط بغداد عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وما أورثته في النفوس من شعور بالمرارة وخيبة الأمل، وما اتصف به العصر المملوكي أحيانًا من شظف العيش نتيجة القحط والجدب، فقد عمّت المجاعات وانتشرت الأمراض كالطاعون والجدري، فوجد البعض في هذه المؤسسات الصوفية ملجأ للعيش، وسعة في الحال، بل وترفًا في المأكل والملبس والمشرب، وذلك أنَّ العديد من المصالح والمنشآت كالبساتين والدكاكين، والحمامات، والأسواق، والأراضي قد أوقفت عليها(١٣)، فقد جاء في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي أنّه كان يوزع مراراً عديدة جملة مستكثرة من الذهب والفضة على أهل الخوانق والزوايا حتى لم يبقَ أحد إلا وشملهُ شيء من ذهب وفضة ما يكفيه مدة طويلة. (١٤)ويلحظ أنَّ تردي الأوضاع

الاقتصادية وطمع البعض دفعت بعض أصحاب الوظائف إلى تركها والالتحاق بالمؤسسات الصوفية نظراً لكثرة ما تقدمه لمنتسبيها من الخدمات، كما حصل مع ابن المشهد [١٥]الذي كان شاداً للأوقاف[١٦] في دمشق فقد ترك منصبه وانقطع بإحدى زوايا المزّة [١٧] إلى أن مات فيها [١٨]كما ساهم مشايخ الصوفيّة من أصحاب الثروة في انتعاش الحركة الصوفيّة ، فيُذكر أنّ الشيخ أبو بكر داوود [١٩]كان له زاوية في الصّالحيّة بناها من ماله الخاص ، وأوقف الأحكار والأوقاف عليها وجعل لها مداراً [٢٠]وصهريجاً ومغارة للتخزين ، وبنى فيها مسجداً وخلاوي للصوفية، ورواقاً وميضأة وإيواناً ، وعيّن لها إماماً ومؤذناً وقيماً وواعظاً ، وكان يَجلبُ لها الثلج لتبريد الماء صيفاً لساكنيها ، وقد تردد إليها الناس بكثرة ، وكان الشيخ يولم لهم الأطعمة والأشربة والحلوى[٢١]إضافة إلى ذلك ، كان من أهم أسباب انتعاش التصّوف في العصر المملوكي رغبة المماليك في التقرّب من فئات المجتمع المختلفة، إذ كان المماليك – في نظر العامّة من النّاس – يُعدّون غرباء عن المجتمع، ويفتقرون إلى الشّرعيّة في تولّي السّلطة ، ولذلك عملوا على كسب تأييد القوى الاجتماعية لمواجهة التحديات الفكرية سواء لنفوذهم أو الاستعانة بهم لتعبئة الناس للجهاد ضد الغزوات الصليبية، بحيث تنوعت المظاهر والوسائل التي مارسها المماليك للتقرّب إلى فئات المجتمع المختلفة، فزادت المدارس لطالبي العلم والزوايا والأربطة كمأوى لفقراء الصوفية والمحتاجين والمتعبدين[٢٢].

أولا: مظاهر اهتمام المماليك بالمؤسسات والطرق الصوفية في دمشق

اعترفت السلطة المملوكية رسميًا ببعض هذه المؤسسات، فقربت شيوخها وأتباعها، وبنت لهم الأربطة والخانقاوات والزوايا، وخصصت الأموال للإنفاق عليها بدعوى التقرب إلى الله ببركة هؤلاء الصوفية الفقراء[٢٣]، وقد رصَدت المصادر التاريخية عدداً كبيراً من هذه المؤسسات التي أوقفها السلاطين والنواب و الأمراء في مدينة دمشق والتي لا مجال لذكرها في هذه الدراسة لكثرتها، لكن من باب تسليط الضوء على اهتمام السلاطين والأمراء بذلك اخترنا نص وقفية الخانقاة الجُقمقية[٢٤] الذي أوردها دفتر سجل أوقاف الشام، رقم (٦٠٢) فأشارت أن الذي أوقفها الأمير جُقمق الدوادار نائب دمشق سنة (٨٢٢هـ/١٤١٩م)[٢٥]، وقد رتب لها أوقافًا، وشيخًا وعددًا من الصوفية[٢٦]،ويرجع تاريخها إلى سنة (٨٢٤هـ/١٤٢٢م)[٢٧]. ويمكن لنا استخلاص أهم ما جاء فيها بما يأتي:

أ. الأماكن الموقوفة على المسجد والتربة والخانقاه:تذكر الوقفية أن من الموقوفات العينيّة على الخانقاة وملحقاتها كانت (٧١) بابًا[٢٨] من دكاكين سوق العتقا داخل باب الجابية [٢٩] تعرف بالواقف، و(٢٥) بابًا من طباق وبهو المذكورين بموجب كتاب الواقف، وأرض جورة خراب، وقبان يعرف بـ (تلدكة دورم)، وأرض ودكاكين في محلة اليهود مع أرض الملح، وحكر أرض خان المصلى مع (٣) باب من دكاكين جوار الخانقاة، و(١ط) من ثلاث قطع أراضي تعرف بالعطايات والحور في أرض الدبانية تابع تبنين، و(١٢ط) من أرض تعرف بناظر الحرمين في قرية جوبر[٣٠] تابع منطقة غوطة، وطباقين جوار الخانقاه، وحنفيتين في بهو الخانقاه، ودكاكين في سوق الهوا، والفرن والربعتين، وأرض الخان داخل باب الجنان، ونصف سوق العمارة قبلي سوق السلطان الملك المؤيد[٣١] من أرض حلب، ودكاكين وحمام في قرية دوايع تابع حلب[٣٢].

ب. النفقات النقدية للعاملين في هذه المؤسسات:أوردت الوقفية توثيقاً لما يتقاضاه العاملون في الخانقاة فقد خُصّص لكل من أصحاب الوظائف ما يأتي: ناظر الوقف[٣٣] بـ (٣٠٠) درهمًا[٣٤]، إمام الخانقاه (١٠٠) درهمًا، قارئ المصحف [٣٥]على كرسي (٥٠) درهمًا، عشرة قرّاء بالتربة، لكل واحد منهم (٣٠) درهمًا، الطواشي بالتربة (٦٠) درهمًا، بواب[٣٦] التربة والخانقاه (٦٠) درهمًا، كل نفر من الصوفية العشرة (٣٠) درهما، خادم الخانقاه (٤٠) درهماً، كل يتيم من الأيتام الخمسة عشر (١٥) درهماً، شيخ الأيتام (٦٠) درهمًا، مشرف الوقف (٩٠) درهمًا، طباخ [٣٧] مطبخ الخانقاه (٩٠) درهماً، جابي الوقف[٣٨] (٩٠) درهماً، الحوائج كاش [٣٩] (٣٠) درهمًا، ولناظر المصحف الشريف ولقارئ التفسير والأحاديث الشريفة [٤٠]بالتربة (٦٠) درهماً شهريًا، والمادح [٤١]في كل شهر (١٠) دراهم، ولشاوي اللحم بالخانقاه والتربة في كل شهر (١٥) درهمًا[٤٢].

ج. النفقات اليوميّة والشهريّة المخصّصة للخانقاه:لم تغفل الوقفية البرنامج اليومي والشهري للمشتريات والنفقات فذكرت أنه يشترى من متحصّل الوقف في كل يوم ٣ أرطال [٤٣]من اللحم، وثلث رطل، وربع رطل، و١٢ درهمًا ثمن حوائج وحطب للخانقاه وغير ذلك برسم الطعام ، ويفرّق يومياً، و١٥ رطلًا يوميًا من الخبز، و(٣٥) رطلًا من العسل كل شهر، وطحين الحنطة، وزيت السيرج لطبخ الحلوى الأعجمية[٤٤]. ويتضح من هذه الوقفية وفرة مقدار الأوقاف المرصودة للإنفاق على ديمومة هذه الخانقاة وملحقاتها للاستمرار بأداء رسالتها.وتشير المصادر التاريخية إلى إسهامات سلاطين المماليك في دعم الحركة الصوفيّة وعلاقتهم بالمتصوّفة.فقد شهد عهد السلطان الظاهر بيبرس أعظم الإسهامات في النواحي الدينية خصوصاً في الشّام ، ويذكر المؤرخ ابن تغري بردي أنّه عمّر مساجد وربط ومؤسسات



دينية في مصر والشام فاق ما عمّره سلاطين الأيوبيين والمماليك قاطبة[٤٥]، وجاء في سيرة الظاهر جقمق[٤٦] بأنّه كان محباً للصوفيّة والعمائر الدينيّة[٤٧]، وكان المتصوّفة في عهده لا يُرام حرمهم ، ولا يُضام جارهم [٤٨] ، كما أورد العيني في ترجمة الملك المؤيد شيخ المحمودي[٤٩] بأنّه كان معظماً للصوفيّة ، ومبجلاً لهم ويجلسهم في مجلسه إذا قدموا إليه [٥٠]، ومن ذلك ما أوقفه الناصر قلاوون على الزاوية [٥١]التي أنشأها للشيخ نجم الدين السيوفي[٥٢]، فقد أوقف قريتي الفيجة ودير مقرن [٥٣]عليها [٥٤]مما ساهم في توفير الطعام والماء والكسوة للفقراء الصوفيةويذكر النعيمي أنّه عندما أصاب الخانقاه اليونسية والدكاكين الموقوفة عليها الواقعة خارج باب الفرج[٥٥] الحريق، أمر المحمودي بتجديدها وإعادة تعمير الدكاكين الموقوفة عليها، وخصّص لها حماماً ملاصقاً لها[٥٦].وبلغ من اهتمامهم الشديد بالوقف،أن وصلت الأوقاف المحبوسة على المساجد والمدارس في عهد السلطان الناصر محمد (ت ٧٤١هـ/١٣٤١م)) مائة وثلاثين ألف فدان في الشّام وحدها ، كما أكثروا من وقف الحوانيت والمزارع والطواحين والخانات والأموال والضياع وغيرها تقرباً إلى الله تعالى، فقد بلغت في عصر السلطان الناصر قلاوون في الشام ألف ألف دينار [٥٧].وفي عام (٨١٩هـ/١٤١٦م) شهدت مدينة دمشق جائحة اقتصادية أدت إلى ارتفاع الأسعار، فلم يتمكن النّاس من سدّ احتياجاتهم ، لذلك أرسل السلطان المؤيد شيخ خزنداره [٥٨] الأمير فارس الطواشي [٥٩]حاملاً ١٠٠٠ إردب من القمح ، و٤٠٠٠ دينار ليوزعها على ساكني الخوانق والزوايا[٦٠] ، كما خصّص الظاهر برقوق للزاوية الدركزينية بدمشق ألف درهم وثلاثين غرارة [٦١] من القمح سنويا وعشرة دراهم تُصرف يومياً لها[٦٢]وكان السلطان قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨- ١٤٩٥م) له اعتقاد شديد بفقراء الصوفيّة وكان يقرّبهم إليه، فقيل عنه أنّه كان منتمياً لإحدى طرقها[٦٣] ، وعندما زار بلاد الشام عام (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) برفقة الخاصكية[٦٤] والأمراء عقد مجلساً علمياً بحضور القضاة والمشايخ والصوفيّة[٦٥]وحرص أغلب سلاطين المماليك على استمالة العلماء والتقرب منهم لذلك سعوا إلى توليتهم المناصب الإدارية والدينية الرفيعة في الدولة[٦٦] للاستفادة من خبراتهم لترسيخ سياستهم ، ولإحياء فكرهم المذهبي الوارث لحركة الإحياء السنّي، لذا كان من مظاهر السياسة الدينية تقريب العلماء والمتصوفّة منهم بالذات[٦٧]، وتجدر الإشارة إلى أنَّ التصوّف في العصر المملوكي كان يندرج ضمن فئة أرباب الوظائف الدينية إضافة إلى القضاة والفقهاء والعلماء ، كما كان المتصوفة في المجتمع المملوكي يلقون الاحترام من السلاطين المماليك ذلك بأنهم بهم عرفوا الإسلام وببركتهم يعيشون [٦٨]ومن هنا فقد ساهم سلاطين وأمراء ورجال المماليك وكبار موظفيهم في إنشاء عدد من المؤسسات الصوفيّة بمختلف مسمياتها ، وقاموا بدعمها من خلال تخصيص وقف لاستمرار ديمومتها.

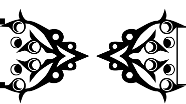
ثانيا : علاقة السلطة الحاكمة بالحركة الصوفية (الايجابية التكاملية والسلبية الصدامية):يمكن لنا أن نميز بين نوعين من العلاقة والتي تراوحت في أغلب الأحيان ما بين الإيجابية التكاملية وأحياناً أخرى بالصّدامية كما سيتضح لنا فيما يأتي:

أ. العلاقة الإيجابية:

تظهر لنا المصادر التاريخية في أغلب الأحيان حالة التناغم بين الطرفين إذ جرت العادة عند افتتاح المؤسسات الصّوفيّة أن تتم بحضور السلطان أو من ينوب عنه من الأمراء وكبار رجالات الدولة المملوكية لإضفاء الهيبة والأهمية ، لأنّ وظيفة مشيخة الخوانق والأربطة من الوظائف التي تصدر مباشرة من السلطان المملوكي نفسه نظراً لأهميتها [٦٩]، فعلى سبيل المثال كانت مظاهر الاحتفال بتقليد شيخ الخانقاه السميساطية في دمشق تكاد تكون مَلكية حيث كان يَحضرها نائب السلطان ، وأعيان ووجهاء دمشق ، ويتم خلالها إلباس شيخها الخِلعة السّلطانية [٧٠] ويذكر العليمي أنَّ السلطان برقوق نفسه قد زار الشيخ الموصلي[٧١] في الزاوية الأمينية حيث كان نواب دمشق يترددون عليه ويأتمرون بأمره[٧٢]، كما نزل الملك الأشرف في الزاوية الأدهمية وبات فيها عندما زار بلاد الشام[٧٣].وعندما تولى الأمير قجماس[٧٤] نيابة السلطنة في دمشق عام (٨٨٦هـ/١٤٨١م) زار الزاوية الصوابية[٧٥] في سفح قاسيون وكانت عبارة عن مغارة أمامها رواق صغير ، فلما رأى أنها مقصداً للأعيان والأمراء والنّاس، قام قجماس بتوسعة هذا الرواق ، وأمر ببناء بركة للماء وأن يُحفر لها بئراً، كما وأمر بغرس حاكورة بجانبها، وأن يبنى لها اسطبلاً للخيول التي يأتي على ظهورها الأعيان والأمراء ، وأوقف عليها حقولاً بداريا [٧٦] مزروعة بالقمح ، وكانت النتيجة أن فتحت أعين الناس لهذه الزاوية وزاد من إقبالهم عليها[٧٧]وقد أوقف السلطان المملوكي خوشقدم[٧٨] سنة (٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، قرية لطم، من أراضي حوران[٧٩]، على شيخ الزاوية الحريرية الشيخ علي الحريري[٨٠].واوقف نائب الشام سيباي[٨١] على الزاوية الرفاعية[٨٢] سنة (٩١٦هـ/١٥١٠م)، قرية طابغة[٨٣] من أراضي قرية جيرة، أوقفها على السيد شهاب الدين بن السيد تاج الدين الحسيني الرفاعي ثم أولاده ثم من بعدهم على السادة الفقراء الرفاعية المقيمين بالزاوية[٨٤] كذلك أوقف عليها سيباي نائب الشام قسم من حاصل قرية نعرات والتي تتبع ناحية شعرا[٨٥] [٨٦].و أوقف السلطان قلاوون على الزاوية السيوفية[٨٧] نصف قرية الفيجة[٨٨]، ودير مران[٨٩] من أراضي



بردى من أجل طعام وأدام وكسوة وغير ذلك، على شيخ وفقراء الزاوية[٩٠].وتشير المصادر المملوكية إلى مدى اهتمام سلاطين المماليك وكبار رجال الدولة حضور مجالس العلم وتحصيل الإجازات فيها ، فضلاً عن إقامة المراسم الدينية لعدد من المناسبات فيها كالمواكب والزينات احتفاء بقدوم عام هجري أو مناسبة دينية[٩١].وبذلك، حظيت بعض الشخصيات الصوفية بمكانة اجتماعية مرموقة لدى السلطة الحاكمة في دمشق، والإدارة المركزية في القاهرة، وقد اتسمت هذه العلاقة بالتعاون والإيجابية والزيارات المتبادلة حتى أن بعض رجال الصوفية كانت كلمتهم مسموعة لدى المسؤولين، فقد حظي الزاهد محمد بن أحمد التلي[٩٢] (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م) بمركز مرموق عند ولاة الأمر، فكان يُستشار ويؤخذ برأيه[٩٣].وقد بلغ نفوذ بعض شيوخ الصوفية ان شيخ الرباط التكريتي في دمشق كانت كتبه ترد للسلطان من حين لأخر ومكاتباته مقبولة لدى جميع الملوك حتى ملوك الفرنجة بالسواحل [٩٤] وكان الشيخ زكريا الأنصاري [٩٥] يرسل إلى السلطان قايتباي مكاتبات يقدّم إليه فيها النّصح والمشورة وأحياناً النّقد، وحينما يقرأها السلطان يصفرّ لونه وينتفض كالطير ومن جملة ما أرسله للسلطان: " أيها الملك تنبَّه لنفسك فقد كنت عدما فصرت وجوداً ، وكنت رقيقاً فصرت حراً ، وكنت مأموراً فصرت أميراً ، وكنت أميراً فصرت ملكاً ، وتجبرت ونسيت مبدأك ومنتهاك " [٩٦].كما لعب المتصوفة دوراً في الأحداث السياسية الداخلية والخارجية على حد سواء التي أحدثت بعض الاضطرابات في المجتمع ، ووقفوا إلى جانب السلطة الحاكمة حرصاً منهم على توثيق العلاقة وصولاً إلى الحصول على الدعم المادي والمعنوي على حد سواء، فعندما تغلّب يلبغا [٩٧] نائب حلب على الظاهر برقوق وسلبه ملكه نُفي إلى الكرك، فاستعان الظاهر برقوق بالشيخ شمس الدين الصوفي [٩٨] الذي اعتمد عليه في تلمّس الأخبار ونقلها إليه في الكرك، وقد تقمَّص الشيخ شمس الدين هيئة الخليفة العباسي المتوكل على الله [٩٩] ومشى بفرسه أمام الظاهر برقوق لإيهام الناس بأن الخليفة المتوكل يؤيد برقوق صاحب الشرعية في حكمه [١٠٠].وعلى الصعيد الخارجي ما أشار إليه ابن إياس من أنَّ السلطان قطز أخذ مشورتهم في أمر قتال التتار والخروج إليهم وحاجته لجمع الأموال لملاقاتهم ، فأشار عليه العز بن عبد السلام بأن يجمع الأموال من الأغنياء والتجار إذا ما نفذت أموال بيت المال[١٠١].وفي أحداث سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م) وعند قدوم جيش المغولي بقيادة الامير قازان[١٠٢]، ووصوله إلى حماة متوجهًا إلى دمشق وقلعتها، حيث بلغه أن نائب دمشق الأفرم توجه كذلك للقائه بعسكر الشام، وبمشاركة سائر أمراء بلاد الشام، وهم نائب حلب قاسنقر[١٠٣]، ونائب حماة كتبغا العادل، ونائب طرابلس اسندمر، وتحاشدهم في مرج دمشق لملاقاة العدو لمنعه من دخول دمشق – مع العلم أن هذا التجمع وجد معارضه من استدار دمشق، وذلك لضرورة انتظار قدوم السلطان المملوكي إلى دمشق لتقوية الجيش – وعندها لبث أهل دمشق بالجامع الأموي ليلًا من فقرائها ومشايخها وصلحائها وفقهائها وقضاتها، يدعون الله سبحانه وتعالى أن يندحر العدو متضرعين له كاشفي الرؤوس مع البكاء وبقوا كذلك حتى طلوع الفجر، ولاحت للناس مواكب العدو وجحافله، وقد غيروا رأيهم عن دمشق، ففرحت الناس بذلك وأيقنوا أن الله سبحانه وتعالى قد استجاب لدعواتهم فرحمهم[١٠٤].وفي عام (٧٩٩هـ/١٣٩٦م) حدث في بلاد الشام انحباس المطر فخرج الأمراء والأعيان والقضاة لصلاة الاستسقاء في جبل المزّة واصطحبوا معهم الشيخ إبراهيم الصوفي [١٠٥]شيخ الخانقاة السميساطية رغم كبر سنّه وعجزه وذلك للتبرّك به ولطلب السُقيا به[١٠٦].وعندما وقع طاعون عام (٨٢٢هـ/١٤١٩م)خرج الملك المؤيد شيخ المحمودي لابساً زيّاً من صوف وعمامة ومعه الفقهاء والمشايخ والعلماء وأفواج من العامة يدعون الله أن يرفع البلاء عنهم، وعندما رجع ذبح بنفسه مائة وخمسين كبشاً وعشر بقرات وجاموستين وأمر بتوزيعها على الجوامع والزوايا والخانقاواة ، إضافة إلى ثلاثين ألف رغيف من الخبز [١٠٧]ولما اشتد بالناس الطاعون استفتى السلطان قايتباي العلماء في نازلة الطاعون، فأشاروا عليه بالتوبة وعدم الظلم ، وردّ الحقوق إلى أصحابها والتضرّع إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١٠٨].ومن صور هذه العلاقة ما ذكره ابن حجّي أن نائب دمشق عبد الرحمن الكفيري[١٠٩] قد أساء إلى الشيخ شهاب الدين الملكاوي أحد المشايخ الصوفيّة الكبار في دمشق[١١٠]حين دخل عليه وهو يدرّس الفقراء الصوفية بحضور العلماء وقام بالاعتداء عليه وطرده من مجلسه، فرفع الحاضرون شكوى إلى شيخ الإسلام عمر البلقيني، فكتب بدوره إلى قاضي القضاة بعزله مع الاعتذار للشيخ شهاب الدين، فعُزل[١١١].ومن أبرز صور نفوذ مشايخ الصوفية في مدينة دمشق أنهم وشوا على ابن تيمية لدى الجهات الرسمية فسُجن، لانتقاده مذهبهم ومهاجمته شيخهم نصر المنبجي[١١٢] الذي كان مقرباً من الأمير بيبرس الجاشنكير[١١٣].وبلغ من تأثير صوفية الخانقاوات في السلطة الحاكمة أنهم استطاعوا في بعض الأحيان تعيين القاضي الذي يتولى زمام مشيخة شيوخ الخانقاوات الدمشقية في الخانقاه السميساطية – رغم أن ذلك من وظيفة السلطة المملوكية ، ففي سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م)، قُلِّد القاضي بدر بن جماعة[١١٤] هذا المنصب بناءً على طلب الصوفية ورغبتهم بذلك، حيث قاموا بعدها بالجلوس حول القاضي فرحين بنجاحهم في اختيار من يشغل المنصب[١١٥]، وفي السنة التي تلتها عُيّن القاضي ناصر الدين بن عبد السلام شيخًا للشيوخ في الخانقاه المذكور، فطلب الصوفية من نائب



دمشق الأفرم، تولية صفي الدين الهندي [١١٦]عليهم بدلًا من القاضي ناصر الدين، فأذن لصفي الدين بالمباشرة وعزل القاضي ناصر الدين بن عبد السلام[١١٧].ومن هذه الصور أيضاً ما ذكره قطب الدين اليونيني (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م) في "تذييله على مرآة الزمان" في ترجمته للأمير حسان الدين بن لاجين الجوكندار (ت٦٦٣هـ/١٢٦٤م) ليله سماع، حيث يقول: (وكان له في الفقر والصالحين عقيدة حسنة، ويكثر من الإحسان إليهم والبر بهم، وافتقادهم بالنفقة والكسوة وغير ذلك، وكان يعمل لهم الاسمطة[١١٨]، ويحضر فيها من المآكل والمشارب والأراييح الطيبة، والشموع ما يبهر العقل ويتجاوز الحد، فكان يقدّر ما يفرضه على ليلة السماع الواحدة تقريبًا ثمانية آلاف دينار[١١٩].ويسهب اليونيني في وصف ليلة السماع التي حضرها هو بنفسه في دار الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار في رمضان سنة (٦٥٩هـ/١٢٦٠م)، والتي أضيئت بالشموع الكافورية في شمعدانات من فضة، مطعمة بصنوف الجواهر والأحجار النفيسة، وبعد صلاة المغرب مدّ للفقراء سماطاً اشتمل على مئة زبدية عادلية في كل زبدية خروف صحيح، وحوالي ثلاث مائة زبدية في كل منها ثلاثة طيور دجاج، وبعد العشاء واتمام الصلاة شرع الحاضرون في السماع والرقص بهزّ الجسم والتمطي والتلوي، حتى إذا ما تعبوا مدّ لهم سماطاً من الحلوى والقطائف الرطبة والمقلوة المصنوعة بالسكر المصري والفستق، ثم رقصوا وغنوا جميعًا، ثم بعد ذلك مُدّ سماط من الفواكه النادرة في غير موسمها من سفرجل، وتفاح، وكمثرى، ورمان، وبطيخ، وبعدها عادوا الرقص مرة أخرى ثم مد سماط آخر من المكسرات على أنواعها من فستق وبندق وزبيب، وما يرافق كل ذلك من مختلف أنواع الشراب، إضافة إلى المباخر المعمَّرة بالنّد والعنبر والعود الهندي، فإذا ما حلَّ وقت السحر دخلوا حمامًا مجاورًا لدار لاجين، واستحموا وألبسوا القمصان والثياب الجدد، وبعد الحمام قدمت لهم أنواع من الأشربة والحلوى الساخنة حتى لحظة انصرافهم[١٢٠].وكانت علاقة نواب دمشق بصوفية الخانقاوات جيدة، حيث اعتاد بعضهم على زيارة الخانقاوات وحضور حلقات الذكر والسماع التي تقام بها، ومنهم النائب جودمر الذي تولى نيابة دمشق سنة (٧٩٢هـ/١٣٩٠م) حيث كان يميل إلى الاجتماع بالصوفية، وحضور مجالس الذكر والسماع التي يقومون بها[١٢١]، كما ورد عن النائب يلبغا الناصري[١٢٢]الذي تولى نيابة دمشق سنة (٧٩٣هـ/١٣٩١م) أنه كان يحب الفقراء (الصوفية) ويجتمع بهم[١٢٣]، وفي سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م) أقام نائب دمشق جانبلاط بالخانقاه الكجحانية[١٢٤] لفترة، حتى أن قاضي الحنفية شهاب الدين بن الفرفور استقبله وعمل له وليمة بأصناف متعددة[١٢٥].ومن مظاهر اهتمام السلاطين المماليك بالمؤسسات الصوفية أنهم كانوا يعينون شيوخ الخانقاوات الكبيرة المشهورة بمرسوم رسمي ، فقد تولى جمال الدين البزروي البغدادي مشيخة الخانقاه السميساطيه[١٢٦] ولقّب بشيخ الشيوخ بمرسوم من السلطان المملوكي في مصر ، ، حيث ولاه إياها نائب دمشق الأفرم مع نظر الجامع الاموي[١٢٧] والخانقاوات، والبيمارستان النوري[١٢٨] ، توفي سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٨م)[١٢٩].ومن الامثلة على المكانة المرموقة التي حظي بها رجال الصوفية عند السلطة المملوكية الحاكمة ان قاضي القضاة وخطيب الخطباء بدر الدين بن جماعة (٦٣٩-٧٣٣هـ/١٢٤١-١٣٣٣م) تولى مشيخه الخانقاه السميساطية بناءً على طلب الصوفية، وهو أول وآخر من اجتمعت اليه الوظائف الدينية الثلاث، الخطابة، والقضاء، ومشيخة الشيوخ[١٣٠]، وبقي فيها إلى سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٣م) عندما ورد كتاب من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون يستدعيه إلى مصر لتولي منصب القضاء هناك[١٣١].ولم يقتصر حضور مجالس الذكر على الولاة والنواب بل تعداه إلى الأمراء ومنهم الأمير علمدار الناصري (ت٧٩١هـ/١٣٨٨م)، حيث تولى عدة وظائف ديوانية في السلطة المملوكية ومنها مقدم ألف، ونيابة صفد، حيث أقام في أواخر عمره بدمشق وترك الإقطاع، وكان يحضر مجالس الذكر والسماع في الخانقاه السميساطية[١٣٢].ويشير ابن طولون الى بعض مواقف الفقهاء والمتصوفين من بعض القضايا الاجتماعية والفكرية في المجتمع الدمشقي ، فيقول:خرج العلماء والفقهاء في دمشق ومعهم كثير من الفقراء والمتصوفين لازالة الخمور والمنكرات وهدموا عددا من الخمارات وعنّفوا أصحابها وكاتبوا السلاطين وأغلظوا عليهم[١٣٣]وذكر ابن كثير إن شيخ الإسلام ابن تيمية عندما بدأ بمحاربة التصوف ومهاجمة شيوخه، كان للمتصوفة حلفاء من علماء الشافعية والحنفية في مصر ، فتعرض ابن تيمية للمحاكمات والحبس والإهانة مما أثار حنابلة الشام الذين تعرضوا للمحن وتم إجبارهم على ترك مذهبهم ووصل الأمر باقتحام المتصوفة لرواق الحنابلة في المسجد الأموي إمعانا في استئصال مذهبهم[١٣٤]

ب. العلاقة السلبية :

رغم حالة الوفاق التي سادت العلاقة بين السلطة الحاكمة والمتصوفين في دمشق بشكل عام إلا أن العلاقة شهدت نوعا من التوتر في بعض الأحيان لأسباب مختلفة منها: بعض الممارسات التي ارتكبها بعض المتصوفة في المجتمع الدمشقي أو نتيجة لبعض المواقف المخالفة لتوجهات السلطات الرسمية الحاكمة في البلاد أو لعدم رضا بعض المسؤولين عنهم مما استدعى إصدار بعض الإجراءات بحقهم أو إنزال بعض العقوبات لرادعة لهم.ومن الامثلة على ذلك سوء العلاقة بينهما ما ذكره ابن طولون أن بعض الغوغاء اقتحموا زاوية الشيخ محمد

العجمي [135] في قاسيون وخربوها وطعنوا الشيخ بالسكاكين وقطعوا رأسه وانتزعوا قلبه والقوا جثته في بئر الزاوية، وذلك لأنه كان يتكلم في أمر المظلومين ويراجع كافل دمشق[136] قانصوة البرجي[137] ودوداره الذي كان يكره الشيخ العجمي، فلما توفي نائب دمشق قانصوة البرجي وشى دوداره بمجموعة من الغوغاء لقتل الشيخ في زاويته[138]. كما صدرت بعض الفرمانات لتصويب سلوك الصوفية ففي سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م) نودي بدمشق بكتاب من السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإلزام المتصوفين بترك طريقتهم في الزي، وعدم حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم، متوعدا من لا يلتزم بهذا النداء يعزر شرعًا[139]. واجتهدت السلطنة في مطاردة أتباع الطريقة القلندرية وتكفيرهم بدعوى مخالفتهم الشرع، فقد ضربت سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) عنق ناصر بن أبي الفضل[140] الذي كان رفيقًا للباجريقي [141] بعد تكفيره[142]، وكذلك فُعل بعثمان بن عبد الله الدوكالي الصوفي الذي كان يدعو بالخانقاه السميساطية على مقالات الباجريقي فشاع أمره بين الناس، وقبض عليه لدعواه المنكرة فحبس، وحكم عليه القاضي شرف الدين المالكي بإراقة دمه، ثم قطع رأسه وذلك سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م)[143].كذلك انكرت السلطة المملوكية الطريقة الحريرية[144] وأصدر بحقها مرسومًا في عهد السلطان الأشرف موسى سنة (٧٦١هـ/١٣٥٩م)، وبموجبه أبعدوا عن دمشق[145].وفي ترجمة الشيخ ضياء الدين عبد الله الدربندي الصوفي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) أحد أتباع الطريقة الشيبانية (اليونسية) انه ارتحل من دمشق إلى القاهرة في أوائل عام (٧٢٣هـ/١٣٢٣م) على هيئة فقراء اليونسية، وبيده طبر، حتى أنه قام بضرب أحد النصارى بهذا الطبر، فأرداه قتيلًا، فاجتمع عليه الناس، وقبضوا عليه، وضربت عنقه بأمر من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون في القاهرة على باب قلعتها[146].ومنهم ضياء العجمي الدربندي الذي قدم دمشق، وسكن الخانقاه السميساطية وكان مغرما بمشاهدة المردان والتهتك بهم، وانتقل إلى مصر في أوائل سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٢م) حيث ضربت عنقه هناك لقيامه بضرب أحد النصارى[147].وفي سنة (٧٩٣هـ/١٤٨٧م) اجتمع عدد من شيوخ دمشق لمناقشة قضية الشاب المتصوّف محمد العمري الدمشقي الشافعي (ت٨٩٧هـ/١٤٩١م) وذلك بسبب كثرة اجتماعه بالمردان والنساء، وعدم صلاته يوم الجمعة مع الجماعة والتصريح بالكفر[148].كذلك من المتصوفين شهاب الدين الدجلي المصري الدمشقي الشافعي[149]، قدم دمشق سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م)، وخدم عند القاضي نجم الدين بن حجي، الذي أبعده وحكم بإراقة دمه، بسبب قلة دينه وتهاونه في الصلاة، والتكلّم بكلام يدل على زندقته وكثرة معاصيه ونتيجة لذلك غادر إلى مصر[150].وفي سنة(٨٨٥هـ/١٤٨٠م) ورد إلى دمشق شخص من الصوفية ومعه معجون، وهو عبارة عن حشيشة مخلوطة بالدبس، فقام أحد الفقراء الصوفية ويدعى الشيخ عبد القادر النحاس وآخر من الفقراء ورميا وأزالا ما معه من حشيشة، وكتبوا عليه إشهاداً بعدم بيعها مرّة أخرى، ويبدو أن هذه المادة هذه المادة كانت متداولة بين فئات المجتمع وخصوصا أرباب الدولة، حيث قام البائع واشتكى على عبد القادر النحّاس لنائب القلعة، فأرسل إليه أكثر من عشرين نقيباً وقبضوا عليه وحبس بالقلعة، فأرسل الشيخ عبد القادر النحّاس يطلب القاضي صلاح الدين العدوي ليخلصه من ذلك، لكن دون جدوى، فاستغاثوا بحاجب الحجاب ولكن دون جدوى أيضا، ثمّ جاء عدد من شيوخ دمشق ومعهم جماعة من الصوفية الفقراء واتفقوا على أن يجمعوا العامة أمام القلعة مع التكبير كتعبير عن رفضهم لتصرّف نائب القلعة، فما كان من نقيب القلعة إلا أن أطلق سراحه[151].و في عام (٩٠٧هـ/١٥٠١م) اجتمع جماعة بن الأعاجم وفرقة القلندرية الصوفية[152]، وذلك في العاشر من محرم في ذكرى موقعة كربلاء، ولطموا وأدموا وجوههم، فما كان من الناس إلا أن اشتكوا بذلك لنائب الغيبة الذي قام بتأديبهم[153].وفي سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م) انتشرت في دمشق إشاعة تقول: أنه قد حدث بمصر أمر عجيب من الشاب الصوفي الدمشقي محمد بن سلامة الذي سافر من سنين إلى مصر حيث صحب جماعة من المتمصلحين، ورافق المرادن، وأتى بزي بنات بنقاب وجلباب على بعض مراكز الشهود في القاهرة يطلب عقد نكاحه على أحدهم، ثم فسد عليه البعض إلى الأمير طراباي، الذي طلبه وتفقد أمره فوجده صبيًا في زي بنت فادعى أنه خنثى، فكشفت عليه بعض النساء فوجدوه ذكرًا، فأمر الأمير طراباي بضربه بالمقارع وإشهاره بالقاهرة على ثور، ثم ضرب مرة ثانية حتى توفي[154].

ثالثاً: أشهر رجالات الصوفية المتنفذين في المجتمع الدمشقي

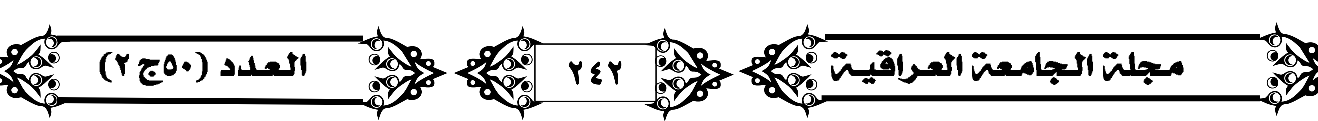
اشتملت كتب التراجم والطبقات عدداً كبيراً من أعلام المتصوفة الذين كان لهم مكانة لدى السلاطين ونوابهم، منهم أبو العباس أحمد بن موسى الزرعي[155](ت٧٦١هـ/١٣٥٩م) الفقير الزاهد المقيم في دمشق، الذي فاقت شهرته الخاص والعام، فقد تردد إليه نواب دمشق، وصحب شيخ الإسلام ابن تيمية[156]، حتى أنه سافر إلى القاهرة عندما سجن ابن تيمية هناك وعرض بشكواه في قضية ابن تيمية على الأمير بيبرس الجاشنكير [157]، كما أنه اجتمع بالسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون[158] سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) بدمشق، وكلّمه في تظلّم أهل زرع من الضرائب التي كانت تفرض عليهم والتي بلغت ألف دينار فأبطلها، حيث أعيدت إليهم هذه الضرائب مرة أخرى، فعاود السفر إلى القاهرة، وهرع الناس لزيارته والتبرك به، وعاد إلى دمشق، ورجع مرة أخرى إلى مصر سنة (٧٤٤هـ/١٣٤٣م) واجتمع



بالسلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون، حيث قضي له أشغاله ثم عاد إلى دمشق، وبقي كذلك في علاقته مع الإدارة المحلية بدمشق والمركزية في القاهرة، بحيث أنه لم يكن يعود من القاهرة إلى دمشق إلا ومعه عدة تواقيع بإبطال حوادث ومتجددات من كثرة ما يقصده الناس لذلك(١٥٩).ومنهم زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي الدمشقي الصالحي الصوفي القادري (١٦٠) (٧٨٢هـ-٨٥٦هـ/١٣٨٠م-١٤٥٢م) تفقه على عدد من العلماء، وكان ملازمًا للذكر وقراءة القرآن والأوراد على طريقة أبيه، وكانت له علاقة جيدة مع نواب وقضاة دمشق وفقهائها(١٦١)، ومنهم سيف الدين الرجيحي بن سابق بن هلال بن الشيخ يونس (ت٧٠٦هـ/١٣٠٦م) من شيوخ الطائفة الشيبانية (اليونسية) إذا كان على علاقة جيدة مع أعيان وأمراء وقضاة دمشق(١٦٢).وبرز منهم أيضاً عبد الله أبو بكر بن عبد البر بن محمد الموصلي الشافعي (٧٣٤-٧٩٧هـ/١٣٣٤-١٣٩٥م)، ولد بمدينة الموصل ثم ارتحل إلى دمشق، كان يعمل بالحياكة، ثم سلك طريق الصوفية، ألف عدداً من الكتب منها (الدرَّة المضيئة في الوصايا الحكيمة) وهو كتاب في التصوف ، وكان نواب دمشق يترددون عليه كثيرًا(١٦٣)، ويمتثلون أوامره . وكان قد سافر إلى مصر مستخفيًا، ثم عظم قدره عند السلطان وكان يكاتبه بما فيه نفع للمسلمين، ثم اجتمع به السلطان في منزله وصعد إلى عليّة كان فيها(١٦٤). ومنهم صالح الأحمدي الرفاعي، شيخ الفقراء الرفاعية في دمشق (ت٧٠٧هـ/١٣٠٧م)، كان للناس فيه اعتقاد، حتى تجاوز أهل دمشق إلى السلطة الحاكمة في مصر (١٦٥).ومن صوفية دمشق أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي النابلسي، توفي سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٧م). تنقل محدثًا بين مصر ودمشق والإسكندرية وكان يدّعي محاكاة الجن ورؤيته، ومع ذلك كان كثير العبادة والأوراد والصلاة بدمشق ودفن بمقابر باب الصغير حتى أن نائب السلطنة والقضاة وأكابر دمشق خرجوا في جنازته(١٦٦).ومنهم العلامة الشيخ الفقيه المقرئ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الرومي (ت٧١٧هـ/١٣١٧م) ولي مشيخة الخانقاه الخاتونية(١٦٧)، كان إماماً للأمير جمال الدين آقوش الأفرم (١٦٨) نائب دمشق حتى عام (٧٠٩هـ/١٣٠٩م) وبنى له زاوية بالشرف الشمالي، وكانت علاقته طيبة مع أمراء دمشق، فكانوا يزورونه، ودفن داخل زاويته(١٦٩).ومن ابرز مشايخ صوفية الخانقاه الطاووسية بدمشق الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن أحمد بن طوق الطواويسي، الذي كان يعمل مباشرًا بديوان الأسرى (١٧٠)والأسوار، توفي بالخانقاه سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م)(١٧١).ومنهم محمود بن علي بن إبراهيم بن شرف الدين القيصري الدمشقي عمل ناظرًا للأسرى، وكانت له مكانة مرموقة عند الناس وأكابر المدينة، ولديه إحسان ومكارم، توفي سنة (٧٨٠هـ/١٣٧٨م) ودفن بمقبرة الصوفية(١٧٢) ومنهم شيخ الخانقاه الجقمقية عماد الدين بن علي بن إبراهيم بن عدنان الحسيني الحنفي (٧٧٥-٨٢٧هـ/١٣٧٣-١٤٢٣م) الذي باشر نيابة كتابة السر (١٧٣) والحسبة(١٧٤) بدمشق(١٧٥).ومنهم شيخ الزاوية الأرموية(١٧٦) محمد بن إبراهيم الأرمني (ت٧١١هـ/١٣١١م) كان من كبار الصالحين، وله مكانة عالية عند الأمراء والأكابر، وأرباب الطيالس(١٧٧) والمحابر(١٧٨)، وكان السلطان الملك الظاهر قد أوقف ما قيمته (٦٣٨٠) درهما على هذه الزاوية من حاصل قرية مادع من سوق الحرادين على إبراهيم بن عبد الله بن يوسف الأرموي، ثم على أولاده وأعقابه، فإذا انقرضوا عاد وقفًا جاريا على الزوابة الأرموية بسفح قاسيون، وكان تاريخ سجل الوقفية سنة (٧١١هـ/١٣١١م) (١٧٩). ومنهم الشيخ أحمد بن عبد الله العجمي (ت٨٨٨هـ/١٤٨٣م) الذي نزل الزاوية الصوابية(١٨٠)، فصار الأمراء يصعدون إليه في هذه المغارة، وبنى لها حاجب دمشق طقتش الكبير اصطبلًا كبيرًا لكثرة ما يأتي إليه الزوار بخيولهم، وحفر لها بئرًا وبركة ماء، ثم قام نائب دمشق قجماس فوسع رواقها، فزاد زوارها، وجعل الذكر فيها ليلة الجمعة، ورتب لها الأوقاف(١٨١).كذلك كان منهم شيخ السميساطية شرف الدين المالكي(١٨٢) إذ قرئ تقليده بالسبحة، أي بقراءة المرسوم والتصديق عليه بالتسبيح وذكر الله وقد حضر هذه الجلسة الأعيان والقضاة، وكان ذلك بعد وفاة قاضي القضاة القونوي الشافعي(١٨٣).ومنهم شيخ الخانقاه الطاووسيه أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن أبو العباس الشهرستاني الصوفي الشافعي والذي تولى مشيختها سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، وكانت له علاقة جيدة مع نائب دمشق تنكز (١٨٤) (١٨٥).ومنهم الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن عثمان بن الشيخ أحمد الإقباعي المتوفي سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، حيث كان يعاني الأوراد والأذكار كل ليله سبت، ويجتمع عنده الخاص والعام من العلماء والقضاة يحضرون مجلسه(١٨٦).ومن الأمثلة على مكانة المتصوفين عند أرباب الدولة أن الشيخ حسان الأنصاري (ت٧٣١هـ/١٣٣٠م) الذي شاع صيته بين العامة، كان كثير العبادة والمجاهدة في قيام الليل، وتحكى عنه كرامات كثيرة، ومنها: أنه كان يقرأ القرآن كاملا في ركعة واحدة، واعتاد على إغاثة الملهوف، وحل منازعات الناس عند أرباب الدولة(١٨٧).

نتائج الدراسة:

اشتملت هذه الدراسة على بعض النتائج تتلخص بما يلي:



– اهتم السلاطين والأمراء المماليك في بناء المؤسسات الصوفية المختلفة ورصد الأوقاف لصالحها وهذا ما يفسر لنا كثرة انتشارها وزيادة أعدادها والاموال الموقوفة عليها .

– نجحت السلطة المملوكية ومن ينوب عنها في نسج علاقة متينة مع شيوخ المتصوّفة وقد ساعد على ذلك التقاء المصالح بين الطرفين

– أبرزت الدراسة الدور الايجابي الذي لعبه مشايخ الصوفية في مواجهة الأخطار الخارجية أو المظاهر الاجتماعية .

– اهتمام سلاطين المماليك وكبار رجال الدولة حضور مجالس الوعظ الصوفية بل وحرص البعض منهم في الحصول على الإجازات العلمية الداعمة لشرعية حكمهم.

– لعب بعض رجال الصوفية دوراً مهماً في الوساطة لدى السلطة الحاكمة في حل بعض القضايا التي تهم المواطنين كإبطال المظالم والضرائب وغيرها من القضايا التي كانت تطغى في المجتمع المملوكي.

– كان للصوفية كلمة مسموعة لدى السلطة الحاكمة وصلت إلى درجة تعيين أو عزل بعض القضاة والموظفين في الدولة .

– لم تتردد السلطة الحاكمة في إيقاع أقصى العقوبات على مرتكبي بعض الممارسات والاعتقادات المنافية للدين والأخلاق من المتصوفين.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الدفاتر والسجلات:

– دفتر اوقاف الجامع الأموي، لجنة تراث بلاد الشام، الجامعة الأردنية، دفتر رقم (٥٩١).

– سجل اوقاف الشام، الجامعة الأردنية، دفتر رقم (٣٩٣).

– سجل اوقاف الشام، الجامعة الأردنية، دفتر رقم (٦٠٢).

– صالحية، محمد، سجل أراضي ألوية (صفد، نابلس، غزة، قضاء الرملة) حسب الدفتر رقم (٣١٢)، تاريخه(٩٦٤هـ/١٥٥٦م)، جامعة عمان الأهلية، عمان، ط١، ١٩٩٩.

ثانيا: المصادر:

– الأربلي، الحسن بن أحمد بن زفر (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، مدارس دمشق وحماماتها، نشره: محمد أحمد دهمان، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٨.

– ابن الأخوة، محمد بن محمد القرشي (٧٢٩هـ/١٣٢٩م)، معالم القربة في أحكام الحسبة، عني بتصحيحه: روبين لوي، مطبعة دار الفنون،كمبردج،١٩٧٣.

– الأنصاري، شرف الدين موسى بن يوسف (١٠٠٢هـ/١٥٩٣م) نزهة الخاطر وبهجة الناظر، تحقيق: عدنان محمد إبراهيم، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١.

ابن إياس، زين العابدين محمد بن أحمد، (٩٣٠هـ/١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور،٤ج، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،(د.ط)، ١٩٨٤.

– ابن أيبك الدواداري، ابو بكر عبد الله (٧٣٤هـ/١٤٣٣م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت،منشورات قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة.

– بدران، عبد القادر، (١٢٤٦هـ/١٨٣٠م) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، ط١، إشراف: محمود الشاويش، دمشق.

– البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق (٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ٣ج، دار المعرفة، بيوت، ١٩٥٤.

– ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٩.

* الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: محمد فهيم شلتوت، سلسلة التراث الإسلامي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣.

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دار الكتب،مصر.

– ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث، القاهرة.

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

ابن حجي، شهاب الدين أبو العباس أحمد (٨١٦هـ/١٤١٣م)، تاريخ ابن حجي، ٢ج، تحقيق: عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، (د.ت)،٢٠٠٣.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.

– ابن الجيعان ، بدر الدين أبو البقاء محمد بن يحيى (٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، منشورات جروس برس، طرابلس،ط١ ، ١٩٨٤.

– ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(٨٠٨هـ/١٤٠٥م)،العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٨ج، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨.

– الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، العبر في خبر من غبر،دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٥.

* سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦.

* معجم الشيوخ، مكتبة الصديق، الطائف،١٩٨٨.

– ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين (٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، الذيل على طبقات الحنابلة، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠.

– السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين(٧٧١هـ/١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النقم،مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

– السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن(٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٦ج، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،(د.ط)،(د.ت).

– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ/١٥٠٥م)، نظم العقيان في أعيان الأعيان،تحقيق: فيليب حتي،المكتبة العلمية، بيروت.

* تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش،مكتبة مصطفى الباز، الرياض، ط١،٢٠٠٤.

– ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة – قسم تاريخ مدينة دمشق – تحقيق: سامي دهان، ١٩٥٦.

* تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط،(د.ط)، فرانز شتايز،فسبايدن،١٩٨٣.

– الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد (٩٧٣هـ/١٥٦٥م)، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، مكتبة محمد المليجي الكتبي، مصر، ١٨٩٨.

– الشوكاني، محمد بن علي، (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، البدر الطالع من بعد القرن السابع، ط١، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨.

– الشيباني، عبد الله بن علي (ت٧٩٧هـ/١٣٩٥م)، الدرة المضيئة في الوصايا الحكمية، تحقيق: صلاح الدين خليل الشيباني الموصلي، ط١، مطبعة الفردوس، دمشق.

– الصفدي، صلاح الدين خليل ((٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، ،أمراء دمشق في الإسلام،تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي،دمشق،١٩٥٥.

* تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ط٢، دار البشائر، لبنان، ١٩٩٩.

* الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من الأساتذة، فرائز شتاينر المانيا، ١٩٩٣.

* أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ط١، تحقيق: نبيل أبو عمشة، وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩.

– الصقاعي، فضل الله بن فخر، (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، تالي وفيات الأعيان، تحقيق: جاكلين سوبلة، ط١، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٤، بيروت، ١٩٧٤.

– ابن الصيرفي، علي بن داود(٩٠٠هـ/١٤٩٣م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ٣ج، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠.

– الطرسوسي، إبراهيم بن علي (ت٧٥٨هـ/١٣٥٦م) تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ط١، تحقيق: رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٢.

– ابن طوق، شهاب الدين أحمد بن طوق(٩٥٣هـ/١٥٤٦م)التعليق، ٤ج، تحقيق: جعفر المهاجر، المعهد الفرنسي للدراسات العربية،ط١، دمشق،٢٠٠٠.

– ابن طولون، محمد علي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٧م)، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ط٢، تحقيق: محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٤٩.

* إعلام الورى بمن ولي من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق: محمد احمد دهمان، دار الفكر، ١٩٨٤.

– العدوي، القاضي محمود (١٠٣٢هـ/١٦٣٣م) الزيارات بدمشق، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ط١، دمشق، ١٩٦٠.

– العلموي، عبد الباسط (ت٩٨١هـ/١٥٧٣م)، مختصر تنبه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٤٨.

– ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد، (ت١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

– العيني، محمود بدر الدين (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حققه محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.

* السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهيم شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،(د.ط)، ٢٠٠٣.

– أبو الفداء،إسماعيل بن علي بن محمود(٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر،٢مج، المطبعة الحسينية المصرية، (د.ت).

– ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى(٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، التعريف بالمصطلح الشريف،تحقيق: سمير الدروبي،منشورات جامعة مؤتة، الأردن،١٩٩٢.

– ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد (٨٥١هـ/١٤٤٨م)، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٧–١٩٩٧.

– القزويني،أحمد بن فارس زكريا بن محمد (٣٩٥هـ/١٠٠٤م)،آثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر، بيروت، ١٩٦٩.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٥ج، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، (د.ت).

– الكتبي، ابن شاكر، محمد (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) فوات الوفيات، ج٢، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٧٣.

– ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل القرشي (ت٧٧٤هـ/١٢٧٣م)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: أحمد عبد الفتاح فتيح، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤.

– ابن كنان، محمد بن عيسى (١١٥٣ هـ/ ١٧٤٠م)المروج السندسية الفسيحة في تلخيص الصالحية، تحقيق: محمد دهمان،مطبوعات مديرية الآثار، دمشق.

– المقريزي، احمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لعرفة دول الملوك، ج٢، ق٢، نشر محمد مصطفى زيادة، ١٩٤٢–١٩٥٨.

* المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،٤ج ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦.

* درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ط١، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، القاهرة، (د.ن)، ١٩٩٢.

– ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد المصري(٨٠٤هـ/١٤٠١م)، طبقات الأولياء،تحقيق: نور الدين شريبة،مجمع البحوث الإسلامية،القاهرة،١٩٧٣.

– المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت٩٥٢هـ/١٥٤١م)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى)، ط١، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار الصادر، بيروت،ط١، ١٩٩٩.

– ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار الفكر، ط٣، ١٩٩٤.

- النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت٩٢٧هـ/١٥٢٠م) الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٨.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (٦٢٦ه/١٢٢٩م)، معجم البلدان، ٧ج،دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥.

- اليونيني، موسى بن محمد (ت٦٨٠ه/١٢٨١م)، ذيل مرآة الزمان، ط١، صُحح عن النسختين القديمتين المحفوظتين في أكسفورد واستانبول تحت عناية وزارة معارف الحكومة العالية الهندية، ١٩٥٥.

ثالثا: المراجع:

- الباشا، حسن، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة.

- - البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

- بروفنسال، ليفي، دائرة المعارف الإسلامية.

- الحجي، حياة، صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، ط١، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت،١٩٩٢.

* الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده، مكتبة الفلاح، جامعة الكويت.

-الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦.

- خمار، قسطندي، أسماء المواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٣.

- الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت، (١٩٦٥-١٩٧٦).

- دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٩٠.

* معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

- زغلول، محمد سلام، الأدب في العصر المملوكي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٤.

- زياد، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ط١، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٦.

- الشهابي، قتيبة، أبواب دمشق وأحداثها التاريخية،منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦.

* معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ومواقعها وتاريخها كما وردت في نصوص المؤرخين، ٣ج، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩.

- العلبي، أكرم حسن، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة للنشر، دمشق، ١٩٨٢.

كرد علي، محمد بن عبد الرازق،خطط الشام، ٦ج، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٩٨٣.

- ماير، الملابس المملوكية، ترجمة:صالح الشيتي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٧٢.

- هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠.

الرسائل الجامعية:

- الشامي، عمر، ابن حجي، احمد بن حجي الحسباني (ت٨١٦هـ/١٤١٣م)، الذيل على تاريخ ابن كثير (تاريخ ابن حجي)،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد،١٩٩٧.

- عناقرة، محمد، المدارس في مصر في عصر دولة المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧.

الهوامش

---

(1) الخانقاوات: مفردها خانقاه، كلمة فارسية معناها في الأصل المائدة كما تعني محلًا للتعبد والتزهد والبعد عن الناس. انظر: دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،ص٦٦.

(2) الزوايا: مفردها زاوية، وهي ركن البيت وكانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير، أو على المصلى. انظر: بروفنسال، ليفي، دائرة المعارف الإسلامية-الزاوية- ، ص٣٣١-٣٣٤.

(3) الأربطة: مفردها رباط، والرباط من المرابطة أي ملازمة ثغر العدو ثم تحولت من مفهومها العسكري المرتبط بالجهاد إلى ما تعنيه كلمة الزاوية والخانقاه بالنسبة لأصحاب الطرق الصوفية. انظر: ابن منظور، ، لسان العرب، ج٧، ص٣٠٢-٣٠٣.

(٤) ابو الفداء ، المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٠٢-١٠٣؛ ابن كثير ، ، البداية والنهاية في التاريخ،ج٣، ص٣٠١.

(٥) زيادة، دمشق في عصر المماليك، ص١٧٦-١٧٧.

(٦) ا بن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ص١٩١.

(٧) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ،ج٢، ص١٣٩.

(٨) الأربلي، مدارس دمشق وحماماتها، ص٢٤٥.

(٩) العلموي، مختصر تنبه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، ص١٤٠.

(١٠) الأسمطة: مفردها سماط وهو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة لجلوس الآكلين، دهمان، مهجم الألفاظ التاريخية،ص٩٢.

(١١) المقريزي، السلوك،جج٣،ص٨١، المقريزي، الاعتبار، ج٤،ص٢٩٤.

(١٢) التتار اسم يطلق على شعب خليط من عدة قبائل مغولية وتركية، يرجَّح أنهم جاؤا من شرق ووسط آسيا وسيبيريا وبعض المناطق المجاورة لشمال الصين، وفي القرنالسابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي هاجم التتار بلاد العالم الإسلامي فغزو سمر قند وبخارى ثم العراق ومن بعدها بلاد الشام، انظر: ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج٥،ص٣٧٩

(١٣) زغلول، الأدب في العصر المملوكي، ج١، ص٢٥٩.

(١٤) العيني، السيف المهند،ص٢٦٥.

(١٥) ناصر الدين محمد بن خطيب المشهد بدأ حياته جنديا ثم بريديا ثم شادا للأوقاف في دمشق توفي عام (٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م)، ابن حجي، تاريخ ابن حجي،ج١،ص٤٣٩

(١٦) وظيفة مهمة صاحبها التفتيش على أوقاف المسلمين ورعايتها، القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤،ص١٩٣

(١٧) قرية كبيرة تقع في وسط بساتين دمشق بينها وبين دمشق نصف فرسخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٦،ص١٢٢

(١٨) ابن حجي ، تاريخ ابن حجي،ج١،ص٤٣٩

(١٩) هو الشيخ ابو بكر بن داود الصالحي الحنبلي من مؤلفاته تحفة العباد بأدلة الأوراد والإنذار بوفاة المصطفى المختار، ابن طولون، القلائد الجوهرية، ق١،ص٢٩٨

(٢٠) هو الموضع الدائري المخصص لدوران الماء فيه، ابن منظور، لسان العرب،ج٤،ص٢٩٧

(٢١) ابن طولون، القلائد الجوهرية،ق١،ص٢٩٩.

(٢٢) الطرسوسي، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ص٢٤؛ الحجي، صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، ص١٣٥.

(٢٣) زغلول، الأدب في العصر المملوكي، ج٢، ص٢٥٥.

(٢٤) سجل أوقاف الشام، دفتر رقم (٦٠٢)، ورقة ١٧٩.

(٢٥) ابن طولون، أعلام الورى بمن ولي من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص٦٣-٦٤.

(٢٦) النعيمي، الدارس، ج١، ص٣٧٥، سجل أوقاف الشام، دفتر رقم (٦٠٢)، ورقة ١٧٩- ١٨٠.

(٢٧) سجل أوقاف الشام، دفتر رقم (٦٠٢)، ورقة ١٧٩-١٨٣.

(٢٨) تحسب الدكاكين في الأسواق بعدد الأبواب، المفتوحة على شوارع أو ممرات الشاة في الأسواق.

(٢٩) باب الجابية أحد أبواب دمشق قي الجهة الغربية منها، الشهابي ، أبواب دمشق وأحدثها التاريخية،ص١١٣.

(٣٠) قرية من قرى غوطة دمشق تقع الى الشرق من مدينة دمشق، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٢،ص٢٠٥،البغدادي، مراصد الاطلاع، ج١،ص٣٤٥

(٣١) ابو النصر سيف الدين شيخ بن عبد الله المحمودي تولى سلطنة مصر عام ٨١٥هـ/ م، وهو السلطان الثامن والعشرون من سلاطين المماليك توفي عام ٨٢٤هـ/ م ، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤،ص٨١.

(٣٢) سجل أوقاف الشام، دفتر رقم (٦٠٢)، ورقة ١٨٠.

(٣٣) هو بمثابة المدير العام للمؤسسة بحيث يتولى إدارة شؤونها العامة ويؤجر العقارات الموقوفة عليها ويشتري لوازمها ويصرف الرواتب للموظفين وله نائب يقوم مقامه أذا غاب، العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس،ص٢٢، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١،٢٤٨،العلبي، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين،ص٣٢١

(٣٤) يزن الدرهم ٣.٥ غراما من الذهب، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٧٤.

(٣٥) هو من يتولى قراءة القرآن وتجويده وقد غلب على اختصاصه العلم بالقراءات على مشايخ القرّاء، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥،ص٤٣٦،

(٣٦) وظيفته ملازمة الباب لصيانتها وحفظ ما بها من متاع ومنع غير المرغوب بهم من أرباب التهم والفساد وأصحاب الحرف الدنيئة من دخولها، السبكي، معيد النعم، ص١٤٤

(٣٧) هو الذي يعد الطعام للصوفية ويكون صاحب دراية وخبرة في شؤون الطبخ، وأحواله وأنواعه، سواء في الشتاء أو الصيف،عارفاً بقوانين الطبخ بصيرا بصنعته،ابن الأخوة، معالم القربة،ص١٧٣

(٣٨) وظيفته جباية الأموال ومستحقات الوقف واستخلاصها، عناقرة، المدارس في مصر في عصر دولة المماليك،ص٦٠

(٣٩) كلمة من أصول تركية (كاش) بمعنى متسلم و (الحوائج)بمعنى اللوازم، وبذلك تعني مشتري مستلزمات الخانقاه، الحجي، السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ،ص٤٢٢.

(٤٠)من يتعاطى علم الحديث بطريقة الرواية والدراية والعلم بأسماء الرجال وطرق الأحاديث والمعرفة بالأسباب ونحو ذلك، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص٩٤.

(٤١) هو الذي ينشد المديح للرسول عليه السلام، ويشترط به أن يكون حسن الصوت، عناقرة، المدارس في مصر، ص٥٤.

(٤٢)سجل أوقاف الشام، دفتر رقم (٦٠٢)، ورقة ١٧٩.

(٤٣)الرطل الدمشقي يساوي ١٢ أوقية ، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤،ص١٨٧.

(٤٤)سجل أوقاف الشام، دفتر رقم (٦٠٢)، ورقة ١٧٩.

(٤٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج٧،١٩٧، ابن إياس، بدائع الزهور،ج١،ص٣٤٠.

(٤٦) الظاهر جقمق بن عبد الله العلائي توفي عام (٨٧٥هـ/١٤٧٠م)، ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج١٥،ص٢٥٦.

(٤٧) السخاوي، الضوء اللامع،ج٣، ص٧١

(٤٨) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٢٧١

(٤٩) الملك المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري أصله من مماليك الظاهر برقوق، توفي عام (٨٢٤هـ/١٤٢١م)، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج١٤،ص١، السخاوي، الضوء اللامع،ج٣،ص٣٠٨

(٥٠) العيني، السيف المهند، ص٢٦٥

(٥١) عرفت هذه الزاوية بالزاوية السيوفية ، تقع على جبل قاسيون غرب نهر يزيد، النعيمي، الدارس، ج٢،ص١٥٧

(٥٢) نجم الدين عيسى بن شاه أرمن الرومي، توفي عام (٧١٠هـ/١٣١٠م)، النعيمي، الدارس، ج٢،ص١٥٧، كرد علي، خطط الشام، ج٦،ص١٣٧.

(٥٣) قريتان تتبعان دمشق عند مخرج نهر بردى، ياقوت، معجم البلدان، ج٤،ص٢٨٢، النعيمي، الدارس،جج٢،ص١٥٨

(٥٤) النعيمي، الدارس،ج٢،ص١٥٧، كرد علي، خطط الشام، ج٦،ص١٣٧.

(٥٥) أحد أبواب دمشق، يقع في الجهة الشمالية للسور، الشهابي، معجم دمشق التاريخي،ج١،ص٢٧

(٥٦) النعيمي، الدارس، ج٢،ص١٤٨

(٥٧) الكاتب، الفضل المأثور،ص١٦٨، الحجي، صور،ص١٣٢.

(٥٨) لقب أطلق على الذي يتحدث في خزنة السلطان ، دهمان، معجم الألقاب،ص٦٨.

(٥٩) فارس بن عبد الله الخزندار الرومي الطواشي ، ابن حجر، أنباء الغمر، ج٣،ص٢٩٢.

(٦٠) المقريزي، المواعظ والاعتبار،ج٤،ص٢٩٢.

(٦١) الغرارة: وعاء من الخيش يعبئ به القمح أو الشعير ونحوه استعمل في العصر المملوكي كنوع من المكاييل ويعادل وزنه ٨٠ مداً، الخطيب، معجم المصطلحات التاريخية،ص٣٣٠.

(٦٢) النعيمي، الدارس، ج٢،ص١٦٤.

(٦٣) نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من مماليك الأجلاب للقيام بالواجبات الخطيرة، دهمان، معجم الألفاظ التاريخية،ص٦٦

(٦٤) ابن الجيعان، القول المستظرف في سفر مولانا الأشرف، ص١٢٢، الشوكاني، البدر الطالع، ج٢،ص٥٦

(٦٥)العليمي، الأنس الجليل،ج٢،ص٣١٦.

(٦٦)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج٤،ص٣٢٧.

(٦٧)لابيدوس، مدن الشام،ص١٧٤.

(٦٨)القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤،ص٤٣،المقريزي، السلوك،ج٥،ص١٢٤.

(٦٩) القلقشندي، صبح الأعشى،ج١٢،ص٥

(٧٠) النعيمي، الدارس، ج٢،ص١٢٣

(٧١) أبو بكر بن علي بن عبد الله الموصلي الدمشقي قدم من الموصل وتوفي عام (٧٩٧هـ/١٣٩٤م) العليمي، الأنس الجليل،ج٢،ص١٦٤

(٧٢)العليمي، الأنس الجليل،ج٢، ص١٦٤

(٧٣)ابن الجيعان، القول المستظرف،ص٥٧

(٧٤) سيف الدين قجماس الظاهري تولى نيابة السلطنة في دمشق وتوفي عام (٨٩٢هـ/١٤٨٦م)، السخاوي، الضوء اللامع، ج٦،ص٢١٣

(٧٥)زاوية أنشئت في العصر المملوكي الأول عام (٦٩٨هـ/١٢٩٩م) من قبل الأمير بدر الدين الطواشي الصوابي، ابن طولون، القلائد الجوهرية،ق١،ص٢٩٤.

(٧٦) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة، ياقوت، معجم البلدان،ج٢،ص٤٣١.

(٧٧) ابن طولون، القلائد الجوهرية،ق١،ص٢٩٦.

(٧٨)تولى السلطنة عام (٨٦٥هـ/ م) وتوفي عام (٨٧٢هـ/ م) السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، ج١٠٩،١.

(٧٩) كورة واسعة من أعمال دمشق من القبلة،ذات قرى ومزارع كثيرة،قصبتها بصرى، القزويني ،آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٨٥،البغدادي، مراصد الاطلاع،ج١،ص٤٣٥، الحميري، الروض المعطار،ص٢٠٦.

(٨٠)دفتر اوقاف الجامع الأموي رقم (٥٩١)، ورقة ٦٩.

(٨١)سيباي: نائب الشام، كان أمير سلاح بمصر، وكان مقربًا من الأشرف قانصوه الغوري، قتل في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ. انظر: ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص٢٠٠.

(٨٢)الزاوية الرفاعية: زاوية شيخ الشايخ حسن بن الرفاعي المتوفى سنة ٩٧٧هـ. انظر: بدران ، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، ص٣٠٥.

(٨٣)طابغة: على ساحل بحيرة طبرية الشمالي على بعد ١٣كم وتسمى أيضا بخلة السمك. انظر: الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٦، ق٢، ص٣٦١؛ خمار، أسماء المواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية، ، ص١٤٥.

(٨٤)صالحية، سجل أراضي الوبة (صفد، نابلس، غزة، قضاء الرملة) حسب الدفتر رقم (٣١٢)، ، ص١٢١.

(٨٥)منطقة قبل الربذة بعدة أميال،ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣،ص٣٩٥.

(٨٦)صالحية، سجل أراضي الوبة، ص١٢١.

(٨٧) تقع على سفح قاسيون، بناها نجم الدين عيسى بن شاه،النعيمي، الدارس،ج٢،ص١٥٧،ابن طولون، القلائد الجوهرية،ج١،ص٢٨٨،الصقاعي، تاريخ وفيات الأعيان، ص١٢٧

(٨٨) قرية بين دمشق والزبداني،عندها مخرج نهر بردى،ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٤،ص٣١٩، البغدادي، مراصد الاطلاع،ج٣،ص١٠٤٩.

(٨٩) دير في الشام مبني على قلعة وسمي بذلك نسبة إلى شجرة المرّان، الحميري، الروض المعطار،ص٢٥٠،

(٩٠)سجل اوقاف الشام، دفتر رقم (٣٩٣)، ورقة ٣٨.

(٩١) المقريزي، السلوك،ج٥،ص٤٠٩، الجبرتي، عجائب الآثار،ج٢،ص٢٣٤.

(٩٢) محمد بن أحمد بن تمام الصالحي، كان صالحاً تقياً عالماً زاهداً،تتلمذ على يد شمس الدين ابن الكمال، كانت له مكانة عند السلاطين توفي عام (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج١،ص١٣٠.

(٩٣)ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج٢، ص٤٧٤-٤٧٥.

(٩٤) النعيمي، الدارس، ج٢،ص١٥٠

(٩٥) زكريا بن محمد بن احمد الأنصاري الشافعي الصوفي كان له مكانة عند السلطان قايتباي، الشعراني، لواقح الأنوار،ج٢،ص١٠٧ ، الشوكاني، البدر الطالع،ج١، ص٢٥٢.

(٩٦) الشعراني، لواقح الأنوار،ج٢،ص١٠٨

(٩٧) يلبغا ابو المعالي السالمي الظاهري أحد كبار أمراء الجند في عهد الظاهر برقوق ، السخاوي، الضوء اللامع،ج١٠،ص٢٨٩.

(٩٨) الشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم أحد مشايخ الصوفية كان له حظوة عند برقوق، المقريزي، السلوك،ج٧،ص١٩٧.

(٩٩) هو الخليفة المتوكل على الله ابو عبد الله بن المعتضد وهو سادس الخلفاء العباسيين في مصر في العهد المملوكي توفي عام (٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٥١

(١٠٠) ابن حجر، انباء الغمر،ج١،ص٣٩٩، ابن إياس، بدائع الزهور،ج١،ص٤٢٨

(١٠١) ابن إياس، وقائع الدهور،ج١،ص٣٠٢.

(١٠٢)قازان بن أرغون ملك التتر مدة ثماني سنين توفي عام (٧١٣هـ/ م).أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٤،ص٥٠

(١٠٣) كان واليا على دمشق وفي عهد كتبغا العادل عزله عن ولاية دمشق ونقله نائبا إلى طرابلس. ابن أيبك،أعيان العصر وأعوان النصر،ج١،ص٥٣٠،

(١٠٤)العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢٢٧.

(١٠٥) ابراهيم بن عبد الله الحلبي الصوفي شيخ السميساطية توفي وعمره ١٢٠ عاما، ابن حجر، أنباء الغمر،ج١،ص٥٣٠.

(١٠٦) ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة،ج٣،ص٦١١.

(١٠٧)المقريزي، السلوك،ج٦،ص٤٩٦، ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢،ص٤٥٥، إبن إياس، بدائع الزهور،ج٢،ص٤٦

(١٠٨) ابن حجر،الدرر الكامنة،ج٤،ص٢٠١.

(١٠٩) عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن داود الكفيري تولى نيابة دمشق عام (٨٠١هـ/١٣٩٨م)، ابن حجر ابناء الغمر،ج٢،ص٧٤

(١١٠) شهاب الدين ابو العباس احمد بن راشد بن طرخان الملكاوي الدمشقي اشتغل بالفقه والحديث وناب في قضاء دمشق، ابن العماد، شذرات الذهب،ج٩،ص٤٢.

(١١١)ابن حجيأ تاريخ ابن حجي،ج١،ص٧٦

(١١٢) أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجي، من أعلام المتصوفة وشيوخهم، توفي عام (٧١٩هـ/١٣١٩م)، الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٢٧،ص٤٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩،ص٢٤٥

(١١٣) ابن كثير، البداية والنهاية،جج١٤،ص٣٧،ابن حجر،الدرر الكامنة،ج١،ص١٨٠

(١١٤) ولد في حماة عام (٦٣٩هـ/١٢٤١م)برع في علوم الحديث والفقه والأصول والتفسير، رحل في سبيل العلم،تولى قضاء القدس والديار المصرية والشام. الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٢،ص٨،ابن حجر العسقلاني، الدرر،ج٣،ص٢٨١.

(١١٥)النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٢٢.

(١١٦) ولد بالهند ثم ارتحل إلى دمشق عام(٦٨٥هـ/ م) وأقام بها وصنَّف في الأصول والكلام، توفي عام (٧١٥هـ/ م)ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٤،صص٨٥.

(١١٧)النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٢٢-١٢٣.

(١١٨) السماط ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين ، ويطلق أيضاً على المائدة السلطانية، وكانت طرفي النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعلماء الأمراء. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية،ص٩٢.

(١١٩)اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ، ج٢، ص٣٠١.

(١٢٠)اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٠١.

(١٢١)ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٢٦٣-٢٦٤؛ ابن طولون، أعلام الورى، ص٥٥.

(١٢٢) كان من أكابر خاصكية الناصر، جعله أمير مائة ومقدّم ألف بالديار المصرية،وعمّر له دارا عظيمة، ولي بعد موت الملك الناصرحماة وحلب ودمشق وكان شجاعا كريم، توفي عام (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)الصفدي، أمراء دمشق في الإسلام، ص١٠٠

(١٢٣)الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص٥٩١.

(١٢٤)الخانقاه والكججانية: تقع خارج أسوار دمشق بالشرق الأعلى بين خانقاه الطواويس والمدرسة العزية البرانية، أنشأها الخواجا الشيخ محمد بن إبراهيم بن احمد شاه، غياث الدين بان الشيخ صدر الدين الكججي التبريزي، البغدادي (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، وذلك سنة (٧٦١هـ/١٣٥٩م). انظر: النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٣٢؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٢، ص١٦٥.

(١٢٥)ابن طولون، اعلام الورى، ص١١٩.

(١٢٦)الخانقاه السميساطية: تنسب لابي القاسم، علي بن محمد السميساطي (٣٧٣-٤٥٣هـ/٩٨٣-١٠٦١م) وكانت تقع في حي كلّاسه عند الباب الشمالي للجامع الاموي، وقد اوقفها على الفقراء الصوفية. انظر: النعيمي، الدارس، ج١، ص١١٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج٢٢، ص٢٢.

(١٢٧)نظر الجامع الأموي غالباً يكون لقاضي القضاة الشافعي،القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤،ص١٩٨

(١٢٨)كان ناظر البيمارستان النوري مسؤولا أمام نائب السلطنة،ولا يشترط به أن يكون طبيبا، ومن مهامه النظر في أوقاف البيمارستان، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤،ص١٩٧،زيادة،دمشق في عصر المماليك، ص١٦٠.

(١٢٩)النعيمي الدارس، ج٣، ص١٢٢.

(١٣٠)العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ج٤، ص٢٠٢؛ الأنصاري، نزهة الخاطر وبهجة الناظر، ج٢، ص٣٠.

(١٣١)الأنصاري، نزهة الخاطر، ج٢، ص٣٠.

(١٣٢)ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٣، ص٣١٢.

(١٣٣)ابن طولون، مفاكهة الخلان،ص٣٠.

(١٣٤)ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٤،ص٢٤-٤٣

(١٣٥) الشيخ محمد العجمي المشهور بالطواقي شيخ الزاوية الخوارزمية في جبل قاسيون توفي مقتولا عام (٩١٠هـ/١٥٠٤م)الغزي، الكواكب السائرة،ج١،ص٧٨.

(١٣٦) من الألقاب التي يختص بها نائب السلطنة في الممالك الشامية، دهمان، معجم الألقاب،ص١٢٨

(١٣٧) قانصوة البرجي المحمدي، تولى نيابة دمشق في عهد قانصوة الغوري، ابن طولون، مفاكهة الخلان،ج١،ص١٩٥.

(١٣٨) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص٢٢٥.

(١٣٩)ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٢٩٣-٢٩٤.

(١٤٠) ولد سنة (٦٦٠هـ/ م)سلك سبيل الزهد ثم اتهم بالزندقة وضربت عنقه على يد القاضي شرف الدين عام ٧٢٦/هـ/١٣٢٥م). ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة،ج٦، ص١٥٢.

(١٤١) ولد عام (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) تزهّد وحصل لع حال وكشف وانقطع،فصحبه جماعة من الرذالة، وهوّن لهم أمر الشرائع، وأراهم بوارق شيطانية، وكان له قوة وتأثير، وحكي عنه التهاون في الصلاة، فحكم عليه بإراقة دمه، وعاش متخفياً إلى أن مات سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٣م)ابن حجر، الدرر الكامنة،ج٤ص١٢، الصفدي، الوافي، ج٣،ص٢٤٩، الذهبي، سير أعلام الوفيات،ج٤٧٦،١٧..

(١٤٢)الصفدي، اعيان العصر، ج٥، ص٤٩٥-٤٩٦.

(١٤٣)ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص٥٦، الصفدي، أعيان العصر، ج٣، ص٢٣٧.

(١٤٤)الطريقة الحريرية: تنسب للشيخ علي الحريري أبو احمد بن أبي الحسن علي بن منصور الدمشقي، كان يعمل بضعة الحرير ثم تصوّف فعرف أتباعه بالحريرية. انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٥٦؛ النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٥٤، الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص٦.

(١٤٥)النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٦٥.

(١٤٦)المقريزي، السلوك لعرفة دول الملوك، ج٢، ص٢٤١-٢٤٢؛ الشوكاني، ، البدر الطالع من بعد القرن السابع، ص٢١٠-٢١١.

(١٤٧)المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص٢٤١-٢٤٢؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص٣١١-٣١٢.

(١٤٨)ابن طوق، التعليق، ج١، ص٢٩٧-٢٩٨.

(١٤٩)كان عالماً في النحو والعلوم العقلية استقرّ في دمشق وكان له مكانة مرموقة عند القاضي نجم الدين بن حجي، إلا ان علاقته به ساءت بعد أن بسبب أفكاره فأمر بإراقة دمه.لكنه غادر إلى مصر وتوفي فيها عام (٨٣٨هـ/ م). النعيمي، الدارس،ج١،ص١٠٨

(١٥٠)النعيمي، الدارس، ج١، ص١٠٩-١١٠، ج٢، ص١١٤.

(١٥١)ابن طوق، التعليق، ج١، ص٢٩٧-٢٩٨

(١٥٢) تنسب إلى قلندر يوسف، أندلسي الأصل،ظهرت هذه الطريقة في عهد السلطان الظاهر بيبرس الذي شجعها. النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس،ج٢،ص١٦٥.

(١٥٣)ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٢٤٤-٢٤٥.

(١٥٥) من كبار أصحاب ابن تيمية، تفرغ في منطقة زرع للعبادة وانقطع لها،حتى كانت الناس تذهب اليه للتبرك، وذهب إلى القاهرة فأبطل بعض المظالم وساءت علاقته مع رجال الدولة، توفي عام (٧٦١هـ/ ١٣٥٩م)ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة،ج١،ص٣٤٤-٣٤٥

(١٥٦) شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المولود في حرّان عام (٦٦١هـ/١٢٦٨م) انتقل به والده إلى دمشق واستقر بها وسمع عن شيوخها وفيها ذاع سيطه،الذهبي، معجم الشيوخ، ج١،ص٥٦، الذهبي، العبر في غبر من عبر، ج٤،ص٨٤،

(١٥٧) جركسي الأصل تولى السلطنة بعد خلع الناصر قلاوونفي شوال سنة(٧٠٨هـ/ م) وبقي سلطانا حتى عام (٧٠٩هـ/ م) وتنسب إليه خانقاه بيبرس في القاهرة، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج٢٣٢،٨

(١٥٨) ولد بالقاهرة عام (٦٨٤هـ/١٢٨٥م)في قلعة الجبل ، تولى السلطنة بعد مقتل الأشرف خليل ولم يكن عمره آنذاك قد تجاوز ٨ سنوات، وقد تولى عرش السلطنة ثلاث مرات،ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ص٦،الصفدي، الوافي بالوفيات،ج٤،ص٣٥٣،ابن حجر العسقلاني،الدرر الكامنة،ج٤،ص١٤٤.

(١٥٩)ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج١، ص٢٩١؛ المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، مج٢، ص٣٥٤-٣٥٥.

(١٦٠)ولد سنة (٧٨٢هت/١٣٨٠م) وتفقه على عدد من العلماء له عدد من المؤلفات منها: الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وكتاب نزهة النفوس والأفكار في خواص النبات والحيوان، والمولد الشريف، كان مسمع الكلمة توفي عام (٨٥٦هـ/١٤٥٢م)ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج ٧،ص٢٨٨.

(١٦١)ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج٧، ص٤٢٤.

(١٦٢)النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٦٨.

(١٦٣)أبو بكر الشيباني، الدرة المضيئة في الوصايا الحكمية، ص٩؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٣، ص٥٥٩-٥٦٠.

(١٦٤)ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص١٠٠-١٠١.

(١٦٥)ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج٦، ص٣٤٤؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص٣٥٢؛ ابن حجرالعسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٥١.

(١٦٦)ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، ص٣٣٦.

(١٦٧) تقع خارج باب النصرتنسب إلى خاتون بن معين الدولة زوجة نور الدين زنكي، النعيمي، الدارس،ج١،ص٣٨٨،ج٢،ص١١٣.

(١٦٨) جمال الدين الأفرم ولي نيابة دمشق سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٨م). انظر: ابن حجر الدرر الكامنة، ج١، ص٣٩٦.

(١٦٩)الصقاعي، تالي وفيات الاعيان، ص١٨٠.

(١٧٠) ديوان خاص بالأوقاف التي يفدى بها الأسرى،القلقشندي، صبح الأعشى،ج١٩٧،٤.

(١٧١)ابن حجي، الذيل على تاريخ ابن كثير (تاريخ ابن حجي)، ص٩٦.

(١٧٢)ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٢، ص٧٣.

(١٧٣) من الوظائف الإدارية في السلطنة المملوكية،ومقتضاها التوقيع عن السلطان أو النائب، والاطلاع على أسراره التي يكاتب بها وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل،العمري، ابن فضل الله، التعريف بالمصطلح الشريف، ج١،ص٩٨،ابن كنان،حدائق الياسمين،ص١٦٧،البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢١.

(١٧٤) هي وظيفة دينية تعنى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتقع على صاحبها مسؤولية الإشراف على الأسواق والآداب العامة وغيرها من المهام، الماوردي، علي بن محمد ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية ،بيروت، ص٢٩٩، القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤،ص٢٠٠، العمري، التعريف بالمصطلح الشريف،ج١٧٨،١ص.

(١٧٥)النعيمي، الدارس، ج١، ص٣٧٥.

(١٧٦)الزاوية الأرموية (٦٣١هـ/١٢٣٣م) حفرت على سفح قاسيون، أنشأها عبد الله بن يونس الأرموني. انظر: ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص٢٨٤؛ النعيمي، الدارس، ج١، ص١٠٣.

(١٧٧) ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف ويحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة ، وهو من ألبسة العلماء في العصر الإسلامي وكان على الأغلب يتخذ من القماش الأخضر. العمري، التعريف،ص١٧٠، القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١،ص١٩٧.

(١٧٨)المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت٩٥٢هـ/١٥٤١م)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى)، ط١، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار الصادر، بيروت، ١٩٩٩، ج١، ص٦٦.

(١٧٩) سجل أوقاف الشام، دفتر ٦٠٢، ورقة ٣١٧.

(١٨٠)ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١،ص٢٩٥،الأنصاري، نزهة الخاطر وبهجة الناظر، ج١، ص١٠١.

(١٨١)ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج٢، ص٢٩٦.

(١٨٢) قدم دمشق وتولى قضاء المالكية ثم انتقل إلى القاهرة أيام السلطان يلبغا فتولى قضاء العسكر ونظر الخزانة وتوفي بالقاهرة عام (٧٨١هـ/ م) ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر بأبناء العمر، ج٨، ص٣٤

(١٨٣)ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٥٧.

(١٨٤) تولى نيابة دمشق عام (٧١٢هـ/ م)وبقي فيها حتى عام (٧٤١هـ/ م) فقبض عليه وأخذ للقاهرة ، ثم اعتقل في الإسكندرية وقبض فيها، الذهبي، العبرفي خبر من غبر،ج٤،ص١٢١.

(١٨٥)ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٢، ص١٤٣.

(١٨٦)ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٣٨.

(١٨٧)ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص٢٩٧-٢٩٨.